

تفاعل النظام المعرفي للغة مع التمثلات الاجتماعية والثقافية في بناء الخطاب اللغوي

The interaction of the cognitive system of language with social and cultural representations in the construction of linguistic discourse

فازية تيفرشة*

جامعة مولود معمري، تيزي وزو - الجزائر faria.tiguercha@ummt.dz

تاريخ النشر:

تاريخ القبول:

تاريخ الإرسال:

2023-01-26

2022-05-29

2022-05-11

ملخص: يهدف البحث إلى دراسة تشكّل معاني الخطاب اللغويّ بإجراءات وأدوات معرفية تُقَرِّب العوامل اللغوية من التمثّلات الاجتماعية والثقافية التي توجه عملية إنتاج المعاني وفهمها، بشكل يحقق توافقاً بين عناصر العملية التواصلية وهو ما يضمن مقارنة مقاصد المتكلم والابتعاد عن الغموض واللبس في أذهان المتكلمين والسامعين.

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها أنّ إنجاز الخطاب اللغوي عملية معقدة تتم في ذهن المتكلم والسامع، تتحكم فيها عوامل خارجية وداخلية، منها التمثّلات الاجتماعية والثقافية التي تتدخل في إنتاج الخطاب وفهمه، وتظهر مخرجاتها في تحقيق التواصل اللغوي والتفاهم وتجاوز الغموض واللبس اللذين يبرزان في حالة عدم وجود توافق وتفاعل إيجابي متكامل بين عناصر الخطاب اللغوي المنجز.

كلمات مفتاحية: تفاعل النظام المعرفي؛ التمثّلات الاجتماعية والثقافية؛ بناء الخطاب اللغوي؛ معالم التوافق.

Abstract: The research aims to study the formation of the meanings of the linguistic discourse with cognitive procedures and tools that bring the linguistic factors closer to the social and cultural representations that direct the process of producing and understanding meanings, in a way that achieves compatibility between the elements of the communicative process, which ensures an approach to the speaker's intentions and avoids ambiguity and ambiguity in the minds of speakers and listeners.

* المؤلف المرسل

The research reached a set of results, the most important of which is that the completion of the linguistic discourse is a complex process that takes place in the mind of the speaker and the listener, controlled by external and internal factors, including social and cultural representations that interfere in the production and understanding of the discourse, and integrated positive interaction between the elements of the completed linguistic discourse.

Keywords: the interaction of the cognitive system; social and cultural representations; the construction of linguistic discourse; parameters of compatibility.

1-المقدمة: يرتبط الإنجاز اللغوي في الدراسات المعرفية بإجراءات نحوية ذهنية وسياق تخاطبي يجري فيه، وإذا كانت الإجراءات اللغوية النحوية لعملية التواصل تظهر على المستوى السطحي للكلام، فإن التمثلات الاجتماعية والثقافية تظهر في العوامل كلها التي تحدد مسار التواصل، والاستراتيجية التي يتبعها السامع في فهم الكلام، وكيفية بناء التمثلات واستحضارها من الفضاءات الذهنية، مستندا على نية المتكلم وقصد السامع.

يطرح البحث إشكالية تفاعل نظام اللغة مع التمثلات الاجتماعية والثقافية في توجيه إنتاج المعاني وفهمها، ومدى تأثير التمثلات الاجتماعية والثقافية على رفع اللبس وغموض المعنى، إضافة إلى كيفية بناء المعنى في ذهن المتكلم والسامع، مع العلم بتواتر التمثلات الاجتماعية والثقافية في أذهان الجماعة اللغوية الواحدة.

للإجابة عن هذه الإشكالية ينطلق البحث من مجموعة من الفرضيات، التي يمكن أن يؤكدّها أو يفتنّها، وهي:

-وجود تمثلات اجتماعية وثقافية في أذهان أفراد الجماعة اللغوية لا ينفي احتمال الغموض واللبس في بناء الخطاب اللغوي وإنتاجه وفهمه.

-الإيضاح هو المظهر الأساس في توافق التمثلات في أذهان الجماعة اللغوية.

- قد يقارب المعنى قصد المتكلم ويناقض التمثلات الاجتماعية والثقافية لنوايا ومقاصد مضمرة.

- تضمن التمثلات الاجتماعية والثقافية فضاءً متجانساً يحقق نسبة كبيرة من التفاهم، الذي هو الأصل في العملية التواصلية.

يهدف البحث إلى دراسة تشكل معاني الخطاب اللغوي معرفياً، بمقاربة العوامل اللغوية من التمثلات الاجتماعية والثقافية التي تتدخل في توجيه عملية بناء الخطاب اللغوي وفهمه، بتحقيق توافق بين عناصر العملية التواصلية وهو ما يضمن مقاربة مقاصد المتكلم والابتعاد عن الغموض واللبس في أذهان المتكلمين والسامعين. اتبع البحث منهجية دقيقة لتحقيق الأهداف المنتظرة، وذلك برسم حدود التفاعل بين نظام اللغة والتمثلات الاجتماعية والثقافية في ذهن المتكلم والسامع، وضبط المعايير التنظيمية للغة الداخلية انطلاقاً من منهجيات النحو المعرفي في تشكل الفضاءات الذهنية لبناء المعنى، ليصل إلى معالم التوافق بين مكونات بناء الخطاب اللغوي المنجز.

2- القرائن ذات الصلة بقيم التفاعل بين الذهن والقيم الاجتماعية والثقافية:

1.2 التمثلات الاجتماعية والمعايير التنظيمية للغة البشرية: تتصل عملية بناء اللغة وتفكيكها بقرائن يشكلها الذهن في شبكة مفاهيمية متصلة بالمعطيات المستخرجة من سياقات متعددة:

- 1- بنية لغوية مستعملة في الاتصال الاجتماعي.
- 2- بنية القرائن التي تحدد السياق الذي وردت فيه البنى اللغوية (جميع القرائن لسانية وغير لسانية: نفسية واجتماعية وتصورية).
- 3- بنية شبكة البنى اللغوية المتصلة بالبنية موضوع التواصل وهذه الشبكة هي مرجعيات لجميع عناصر التواصل.
- 4- العلوم التي تحدد صورة وأشكال العمليات الذهنية للنصوص اللغوية وقيمتها، وتستدعي التواصل لضرورة إجراء معطيات المعنى وتوضيحها، بعنى وضوحها في

معطيات التواصل اللغوي بين المتكلمين أي العوامل المساعدة على توضيح اللبس أو الغموض في البنية داخل حلقة التواصل اللغوي

لا تتجاوز مرتبة التواصل الفهم العادي للمسموع باعتبارها حالة عادية غير مشروطة بأية قرينة دالة، وتستهدف إيضاح المسموع الذي يقلص حدود المنجز اللغوي في حالة المعنى الوضعي.

نتقاسم عمليات الإنجاز اللغوي معايير تتمثل في:

- عملية تتصل بما يستوجب استخدامه كعملية في جمع ائتلافي للمدونة اللغوية في مضمون الوصف أو التغير اللساني لأن غياب الاتساق الكلي في النظام اللغوي يستدعي استعماله.
- يخضع الإنجاز اللغوي لقواعد متلائمة كما يراها سبربر Sperber Eco لأنه يحقق الاقتصاد والفاعلية، أما الاقتصاد ففي تأطير النظام اللساني وأما الفاعلية ففي الإجراءات اللسانية التي تتكفل بالحفاظ على النموذج المستخرج من اللغة.
- يحتاج مفهوم بناء الخطاب اللغوي إلى توضيح لأنّ المقياس العام لضبطه يتشكل حسب متغيرات الوتيرة اللغوية والتقنية المستعملة في تحرير النظام اللغوي، إضافة إلى مراقبة المعنى الذي يجري بين عموم المتخاطبين.
- يخضع بناء الخطاب اللغوي إلى معالجة ذهنية توجهها التمثيلات الاجتماعية والثقافية، إذ تتجلى جميع النصوص على مرحلتين¹:

✓ المرحلة الأولى: جهاز تمر عبره النصوص التي تحتاج إلى معالجة.

✓ المرحلة الثانية: هو مؤسسة ذات بنية بمعنى أنّ الخطاب اللغوي نظام إجرائي متسق، لأنه يتصل بتوضيح ما يجري من غموض أو التباس في الخطاب اللغوي على مستوى المعنى وتستحضر التمثيلات الاجتماعية والثقافية لتوضيحه.

تنتطق هذه العمليات من اتجاهين مختلفين منفصلين في عملية الكشف

عن المعنى هما:

- استجابة السامع لمعطيات ما يوجد في الخطاب لفهمه.
- اعتماد العناصر المبنية للمعنى -بما في ذلك التمثلات الاجتماعية والثقافية- التي هي إنتاج عقلي يبين الترتيب الطبيعي في بناء الخطاب اللغوي.

2.2 محور التواصل: ظهرت نظريات توضيح المعنى في الخطاب اللغوي بظهور

المنطق الوضعي ونظرية الاتصال، وقد عرفت الدراسات اللسانية في القرن الواحد والعشرين تقدما واضحا في ظل إيديولوجية الشفافية التي تتبني على أن التساؤل عن دلالة العلاقة بين مكونات الكلام يتعلق تبعا بالتساؤل على معنى الخطاب المنجز، أي أن معنى الخطاب متعلق بدلالة العلاقة، ويقصد بدلالة العلاقة تفاعل مكونات الخطاب اللغوي من بنية لغوية وسياقات خارجية وتصورات ذهنية للمعاني حسب المعارف القبلية، والتمثلات الاجتماعية والثقافية، مع العلم أن كل مكون من هذه المكونات يمثل فضاءً ذهنيا مستقلا لتلتقي هذه الفضاءات لإنتاج فضاء جديد هو الذي يوجه معنى الخطاب ويحدده وهو ما يمكن أن نمثل له بنظرية الفضاءات الذهنية²:

يعتبر علم الدلالة المعنى اللفظي في بناء الخطاب اللغوي مبنيا على شكل معنى مشتق، إذ يختلف المعنى الأول عن المعنى الثاني ما يتعقد في وجهتي التشكل أو البناء، إنهما يقودان إلى عملية التأويل لتوضيح الغامض، فالتوضيح هو سيطرة على المعنى وليس هو معطيات فقط، لأن المعنى غير مأخوذ من الكلام ولكنه ينتج من ممارسة التأويل على الكلام ويشكل هذه المعاملات:

- 1- تسجيل الهيكل الاجتماعي
- 2- حدود المرجعيات
- 3- مدونة التعليقات
- 4- القواعد المسجلة
- 5- الطرق المقبولة

- 6- جماعية المسؤولية
 - 7- جماعية شهود التأويل.
- ولا يمكن لهذه العوامل أن تُلاحظ بمفردها لأن الخطاب الذي يقيد على أنه واضح ومفهوم يمرّ بثلاث مراحل:
- 1- يمكن الولوج إلى داخل الخطاب المنجز والوصول إلى المعنى.
 - 2- يمكن الوصول إلى تناسق مكوناته من خلال عدم التناقض.
 - 3- الخطاب رسالة، والملقى أصبح متلقيا في الوقت نفسه.
- المشكل الأساس في بناء معنى الخطاب اللغوي هو أن المتكلم لا يفصح عن غرضه بالضرورة ولكن يترك فراغات لنية ما، وهي ما يشتغل عليه السامع في نطاق تمثلاته الاجتماعية والثقافية التي تُستعرض في مجالات التبادل الشفاهي عن طريق التبادلات اللغوية.
- ويمكن تلخيص مبادئ أطروحات الإيديولوجيات التواصلية في حلقة فيينا³ خاصة، في نقاط هي⁴:
- يوجد معنى لفظي يعرف بسرعة عن طريق الفهم البسيط وفي الأمد القريب وهو ما يعرف بالوضوح الذي يحقق التفاهم والابلاغ وهو الأصل في الكلام.
 - تبدو بعض المعاني واضحة إلا أنها تحمل مفارقات، لذا يتم إعادة إنجاز المعنى اللفظي، لتسمح هذه العملية بتوضيح المعنى وتقديم المفارقات، باسترجاع المعاني التي يمكن أن تفهم من المعنى الأول عن طريق الانتقال الأنتولوجي للغة فتصبح منتظمة.
 - تُقلّص التمثيلات الاجتماعية والثقافية التباس معنى الخطاب اللغوي بشكل ملحوظ وبذلك يتم إخراج المعنى من مشكلة الغموض أو الالتباس وزيادة وتيرة الوضوح والتفاهم.
 - تنتج عن المعرفة الناقصة لحيثيات إنجاز الخطاب وظروفه صعوبة موضوعية لذا تتفاعل مجموعة من الفضاءات الذهنية لخلق عمليات تأويل تحاول أن تتخلص من

هذه الصعوبة كما تحاول أن تكمل ما ليس كاملا من المعنى أو اللفظ شرط تحقق الانسجام الكلي بين هذه الفضاءات الذهنية.

• إن أصل بناء الخطاب اللغوي هو عدم التناقض والتمثلات الاجتماعية تقلص نسبيا التناقضات المحتملة، وهذا الهيكل يركز على نظريات التفسير، التي يعتمد فيها على تحليل قرائن لغوية وسياقية.

• يفترض محور التواصل أن مُنَجَز الخطاب اللغوي كامل مع إمكانية ظهور بعض الضبابية في إنتاج المعنى، لذا يتم استحداث تعويضات وملء فراغات، عن طريق التمثلات الاجتماعية والثقافية بشكل مرن.

زيادة على ما سبق يحكم على الخطاب اللغويّ الفعليّ المنجز، بأنه غير منتهي المعنى، لأنّ الحكم يصدر عن المتكلم، أو يكون حكما مسبقا لهيئة تقديم الكلام، ولا توجّه العلاقة بين المتكلم والسامع، ما يُظهر أن الكلام (المنجز) يتشكل حسب وجهة نظر المتكلم في عملية تنظيمه للعالم الخارجي.

3- منهجيات النحو المعرفي والتمثلات الاجتماعية والثقافية:

1.3 المعنى واستراتيجيات بنائه في ذهن المتكلم: يخضع التخابط اللغوي بين المتواصلين لقواعد اجتماعية وثقافية، فالمتكلم ينجز بشكل ملحوظ بنى لغوية، والتي لا تكون مهمة في عملية التواصل، لأنه يُعتقد أنّ لهذه الكلمات معاني ثانية، بينما للكلام شكل مقتصد وموجز للدلالات ولا يكون بالضرورة سهلا وواضحا عند المتلقي.

لا يفهم المعنى من الكلام المنجز الفعلي، إنما يدرك في ضوء الممارسات الاجتماعية والثقافية، وهنا لا توجد حرية التصرف في اللغة للوصول إلى الوضوح، مما يعني ضرورة اتخاذ استراتيجية إجرائية لإجلاء الغموض، وهنا يمكن أن نحدد موضوع الغموض على أنه ما هو إلا الصعوبة التي تظهر أثناء عملية تحويل اللغة الخارجية إلى لغة داخلية، فالغموض في اللغة هو رفض التصورات التي تترجم وبذلك تتجاهل من قبل المتلقين جميع التأويلات

التي تتشكل في منعطف يُتمثل من أجل المرور من كلمة مؤولة في التصور إلى كلمة أخرى لا توجد في الأصل، فهذا يتطلب العودة إلى كلام منجز معروف مسموع أو مقروء. إن فكرة الوصول إلى المعنى الذي يدور في ذهن المتكلم والمعاني التي يرسمها السامع لتقارب المعاني التي يقصدها المتكلم، هي بمثابة المماثلة بين النظام الراسخ عند المتكلم وعند السامع وهو ما يضمن وجود نظام لغوي موحد في أذهان الجماعة اللغوية، مع ضرورة البحث عن التمثيلات الاجتماعية والثقافية التي تقارب المعنى الموجود في ذهن المتكلم لأن "المعنى هو ما عناه العاني وما أراده في ذهنه وقصده"⁵ والبحث عن النظام النحوي يقتضي مراقبة تغيير المعنى الذي نتوصل إليه بتأويل التركيب الذي بني عليه ذلك المعنى، أو افتراض أنظمة أخرى احتمالا في أن تكون هي المؤدية إلى ذلك المعنى الذي بناه المتكلم وهذا حسب ما يتوافق ونظام اللغة من تحويلات وتمثيلات اجتماعية وثقافية، فالخطاب اللغوي الذي يتوصل إلى صورة التمثيلات هو⁶:

- 1- كفاية افتراضية وتصورية، يراقب بشكل علمي دقيق رموز الكلام وجمله.
 - 2- كفاية موسوعية تمكن المتلقي من إشباع الدلالة.
 - 3- كفاية استدلالية على مقبولية الدلالة.
 - 4- كفاية تنسيقية تمكن المتلقي من تجميع أفهامه في خطاب كلي متسق في ذاته. وبذلك تكون العملية التواصلية عملية ذهنية معقدة ذات طابع رياضي افتراضي، يقوم السامع فيها بافتراض صيغ ويستدل ويجمع بين اللغة والأداء والبنى النحوية والمقاصد التواصلية والتمثيلات الاجتماعية والثقافية.
- يعتبر بعض اللسانيين المحدثين العملية التواصلية بأنها "ترجمة المفاهيم الأولية إلى لغة صورية، بل إن صياغة التفسيرات في النظرية التوليدية رهين بصورته المبادئ العامة التي تقود إلى بناء الاستدلال الاستنباطي الذي يفضي إلى الظواهر القابلة

للتفسير"⁷. وهنا إشارة إلى العملية التي يقوم بها السامع من عمليات تجريدية صورية للغة الطبيعية بعد تفسيرها.

2.3 مدارج إنجاز الخطاب اللغوي وفق مناويل التمثلات الاجتماعية والثقافية: إن إنجاز الخطاب اللغوي من العمليات الذهنية المرتبطة بكيفيات اشتغال اللغة في ذهن وكيفيات ممارستها بأشكال مختلفة يخضع فيها المتكلم في إنجازه إلى عوامل اجتماعية وثقافية تهيمن على اختياراته اللغوية وتوجهها في استعمالته للغة، وذلك بعد التفاعل الحاصل بين التمثلات الاجتماعية والثقافية ومعاملاتها بين الخطاب اللغوي كصورة إنجازية والخطاب اللغوي كصورة ذهنية.

يقيم المتكلم الخطاب الذي يبنيه على تلك الأنظمة المعقدة والمتداخلة، الداخلية منها والخارجية، حيث يعيد صياغة البناء الذهني وتصميمه، ويحفز التمثيلات اللغوية للظهور الفيزيو-فنولوجي حيث يعيد السامع بناء تلك التمثيلات (Représentations) وصياغتها ويقصد بهذا المصطلح الذي ارتبط بالمعرفية أو الإدراك: "الصور الداخلية للغة الفكر وصياغته التعبيرية، فالتماس بالمحيط البيئي يتيح للنظام أن يحدد القيم الدلالية للعلامات في لغة الذهن الداخلية، فقيمة الرموز التركيبية التي يولدها النظام أثناء عمله سُنحَد بنحو مطلق في توافق بين التركيب والدلالة، الأمر الذي يتيح مواعمة بين التمثيلات والعالم الموضوعي الذي تمثله من خلال معالجات معرفية إدراكية"⁸. فالمدرجات الحسية الخارجية تترجم بالتمثيلات في الدماغ وموضعها الذاكرة، وهنا تظهر العلاقة الموجودة بين التواصل اللغوي والتمثيلات الاجتماعية والثقافية، فالتواصل يمر أولاً بالمتكلم في إعادة البناء والتصميم، والسامع يقوم بإعادة بناء التمثيلات اللغوية وتصميمها وفق تداخلات مكونات الخطاب اللغوي المنجز، فالعمليات التواصلية تجري في ثلاثة مستويات من اللغة هي:

- النظام البنوي

- النظام التداولي

- النظام المعرفي.

4- الخطاب التواصل في الصناعة النحوية المعرفية:

1.4 الإنجاز اللغوي وأقطاب عملية الخطاب اللغوي: إن أهم العناصر التي تسعى إليها الدراسات المعرفية هو البحث في جانبين أساسيين: كيف يشغل الدماغ لتمثل التصورات في بناءات لغوية؟ وكيف يبني النحو نماذج لتلك التمثيلات الذهنية؟ إن الوصول إلى المعنى الذي يبينه المتكلم، هو علامات متصلة بالنشاط الدماغي لتمثل المعاني حسب طبيعة بناء النماذج عن العالم الخارجي لمحيط المتكلم، إلا أن النظريات المعرفية تحاول أن تبني المعاني في الصناعات المعرفية الداخلية على صورة التكافآت بين البنى التركيبية والبنى الدلالية التي تتمثلها جماعة المتكلمين، لأن البنى اللغوية هي أشكال ناتجة عن درجة تواتر تلك البنى في دورانها في الكلام، وتحاول النظريات المعرفية استخراجها من الكلام لتمثيل البنى الذهنية في كفاءات ديناميته في لغة المتكلمين. وتبني وصفها لهذه البنى حسب طبيعة تمثل المعاني في لغة الناطقين، فالدراسات المعرفية تحدد مواضع المعاني حسب مواضع الدلالات التركيبية وتكون البنى النحوية تجريدية عامة لكن ارتباطها بقصد المتكلم بعد صياغة تلك البنى المجردة في أشكال فطرية يتشكل في المستوى الفنولوجي، فالنظام النحوي الذهني هو تمثيل لنسقين:

- نظام ذهني لعمليات تركيب صور الكلام.

- نظام ذهني لعمليات تركيب المعاني.

وتتشكل عندنا صورتان متماثلتان في الذهن ومتماثلتان في المظهر الخارجي للذهن.

تسعى عمليات التواصل اللغوي إلى تقريب التركيب من الدلالة المقصودة بخروج

إحدى العناصر الأربعة عن الملاءمة والانتظام، لأن المعنى مضمّر في بنية المتكلم

من الكلام، لذلك تُفرض عملية تقريب تمثيلي للمعنى في التركيب لكي تتوصل عمليات التواصل اللغوي إلى المعنى المقصود بإخضاع البنى التركيبية المتمثلة في التركيب إلى البنى في ذهن المتكلم، ولذلك تقوم النظريات المعرفية بتأويل صورة البنى التركيبية المستجلبة للكلام المفهوم من خلال القيام بعمليات منها:

1- صياغة التركيب حسب طبيعة انتظام المعاني.

2- افتراض أنظمة لسانية غير نحوية يحتمل أن توصل إلى الملاءمة.

3- القيام بإجراء مخرجات على البنى التركيبية تتكافؤ مع الصور المتمثلة للمعنى في التركيب حيث تحمل تلك المخرجات مضمون التحويلات التي أجريت على البنى التي هي عمليات إجرائية للقيام بعملية التواصل اللغوي التي تحتكم فيها قيم النماذج اللغوية ومعاملات التمثلات الاجتماعية والثقافية.

إن للخطاب النحوي الذهني قيما اختبارية عالية لتصوير البنى المجردة في أذهان متكلمي اللغة، كما أنّ قدرة إنجاز مواضع المعاني في البنى التركيبية تتضمن كفاءة استدلالية ذهنية من خلال الإجراءات النحوية التي يستخرجها المتكلم لتمكين السامع من درجة عالية من قبولية الكلام، وهنا تظهر عمليات استراتيجية في تخطيط التنسيق بين جميع تلك العمليات، إذ تقوم عمليات التحويل بإنجاز مخرجاتها لتجميع مضمون استراتيجيات التنسيق لكي ينسجم التركيب مع المعنى في بنية الكلام، وهنا تظهر درجة الملاءمة بينهما والتي هي أساس تنظيمي لمخرجات التواصل اللغوي.

يخضع المتكلم كمصدر الكلام إلى عوامل نظامية، كما يخضع السامع إلى العوامل نفسها كونه مصدر أساس للكلام، الذي يعد موضوع التواصل بين المتكلمين، كون الكلام هو نفسه في ذهن المتكلم كعمليات تجري في الدماغ وهي الأنظمة نفسها في دماغ السامع. إلا أن الاختلاف بينهما يكمن في أن السامع يشكل بناءه للغة على أساس اكتمال الدلالة في الذهن وهي الدلالة نفسها الموجودة في ذهن المتكلم.

لكنّ الكلام يظهر بطريقة مختلفة عن التصورات والمفاهيم التي تشكل الدلالة، علاقة القياس الذهني والقياس الخارجي في إنجاز الكلام، فالنظام اللغوي هو النظام الموجود في أذهان الجماعة اللغوية بحكم الشيوع مع عدم إمكانية سماع كل اللغة، لأن المتكلم الواحد ينشئ الآلاف من التراكيب اللغوية. وقياسنا على تراكيب معينة إنما هو تصنيفات ذهنية موجودة في ذهن المتكلم، فلا يعقل أن تجمع كل التراكيب اللغوية باختلاف المقامات والمقتضيات التي يكون فيها المتكلم، كما أنها لا تتوفر في أذهان المتكلمين على هذا الشكل، وإنما يوجد في ذهن أمثلة تصورية عن كل تصنيف، يختلف بمميزات خاصة عن التصنيفات الأخرى، مثلاً تصنيف الجملة الاسمية يختلف عن تصنيف الجملة الفعلية وتصنيف التعجب يختلف عن الاستفهام.... ومن هذا التمثيل ينطلق المتكلم لبناء عدد لا نهائي من التراكيب المعبرة عن سياقات ومقاصد مختلفة، ومن هنا يتحقق تناسب القواعد النحوية مع الكلام المنجز، لأنه يمثل النظام النحوي الذهني الذي يعبر عن الشائع والمطرد.

2.4 نماذج إنتاج الخطاب اللغوي وفهمه في الدراسات المعرفية: إنّ التّعبير اللّغوي إحالة قصدية ترتبط بالصورة الذهنية التي يكونها المتكلم، وتوجد بهذا المعنى في ذهن المتكلم لا في العالم الواقعي، إنها كيانات تصورية يخلقها الفرد عندما ينطلق من تجربته لبناء إنجاز لغوي بما يتوفر لديه من عمليات ذهنية فطرية تضمن تفسير قدرتنا الواضحة على فهم بعضنا البعض والتواصل فيما بيننا. وهنا إشارة إلى أهمية التجربة التي تتشكل من طبيعة الحواس المدركة للمحيط الخارجي الذي يتفاعل معه المتكلم. والسياقات متعلقة بالتجربة اللغوية وارتباطها بالخبرة الداخلية والواقع الخارجي، وتتصل هذه العمليات كلها بالطابع السسيو-لغوي. وتتفرع التمثيلات السيكلوجية إلى:

- نماذج إنتاج الخطاب اللغوي
- نماذج فهم الخطاب اللغوي.

فنموذج الإنتاج اللغوي هو التمثلات الكلية للنظام اللغوي التي يؤسس بها المتواصلون البناءات اللغوية الفنولوجية، أما نموذج الفهم اللغوي فيخصص في الكيفيات التي يفهم بها المتخاطبون اللغة والكيفيات والمواضع التي تجري عليها عملية التواصل اللغوي.

تتظر نظرية الدلالة التصورية إلى المعنى على أنه بنية معلومات مرمزة في الذهن البشري، أي أنّ المعنى هو تمثيل ذهنيّ، أما المبادئ الدلالية فتتمثل في العلاقة القائمة بين البنية التصورية التي تمثلها علاقات الأنساق الدلالية والبنية المعرفية الممثلة في علاقات الأنساق المعرفية، إذ هناك مستوى انسجم فيه هذان النوعان من العلاقات هو مستوى البنية التصورية، فالبنية الدلالية مصوغة بالطريقة التي ينظم بها الذهن البشري التجربة، لأن تخصيص المعلومات القادمة من أجهزة أخرى لدى الإنسان، كجهاز البصر، وجهاز الشم وجهاز الحركة والأداء اللّغوي لافتراض مستوى للتمثيل الذهني واحد وأوحد⁹. وهذا يعني أن المعاني التي تعبر عنها اللغة معانٍ ذهنية، وبذلك ينطبق عليها كل ما ينطبق على المعلومات الذهنية الأخرى كالבصر والشم واللمس والسمع، من الأمور غير لغوية التي تنتقل على غرار المعلومات اللغوية في سيالات عصبية ذهنية.

والبنية التصورية هي التي تجمع بين المعلومات اللغوية وغير اللغوية، فوجود هذا المستوى هو الذي يمكننا من التعبير عن أحاسيسنا، فنعبر عما نرى وعما نسمع، وإلا ما قلنا إننا نستعمل اللغة في وصف أحاسيسنا وإدراكنا وتجاربنا المختلفة، وهذا يعني أننا لا يمكننا التمييز بين التأويل الدلالي لجملة ما وبين تمثيلها المعرفي¹⁰. ومنه تتشكل البنى التصورية للمتكلم العربي والفرنسي... كل بخصوصياته مع وجود نظام تصوري للغة البشرية كذات طبيعية فطرية وكلية تتماثل بنيتها في صور تركيبية،

تتطابق والصور المعرفية الكلية، هنا نستنتج مبادئ البنية التصورية متمثلة في المبادئ الفكرية والحسية.

تتم عملية التفاعل بين مدخلات العمليات التواصلية ومخرجاتها وبين المحيط الخارجي الداعي إلى استخدام السياقات اللغوية المرتبطة بهذه العملية بمنهجيات تقنية لكشف مضمون الملاءمة بين النظام اللغوي والحدث اللغوي الفعلي المنجز واقعيا وليس ذهنيا، وذلك على مستويين:

- مستوى الحدود الأفقية: وهي إجراءات أفقية عن طريق الربط.
- مستوى الحدود العمودية: وهي إجراءات عمودية عن طريق النمذجة.

5- معالم التوافق بين الخطاب اللغوي والتمثيلات الاجتماعية والثقافية:

1.5 الاندماج اللغوي: يقصد بمعالم التوافق اللغوي السلامة اللغوية لآداءات التواصل المتوافقة مع أنظمة الاستعمال اللغوي بين المتكلمين، ولا يمكن أن نتكلم عن توافق لغوي أو نحصل على صورة السلامة اللغوية بمجرد تحقق السلامة النحوية بل يجب أن يتحقق الاندماج اللغوي الكلي للفرد مع الجماعة اللغوية في تمثلاتها لتصورات المعاني في أنظمة الاستعمال اللغوي، فالتوافق لا يُتحرق في صورة النظام القواعدي الصارم مثل ما فعل تشومسكي في حديثه عن صورة تحقق السلامة النحوية في التراكيب اللغوية ولذلك رفض (وادهايمز) في النظرية الاجتماعية اللغوية هذا التوجه في الصرامة القواعدية التي يتحدث عنها تشومسكي باعتبار أن السلامة النحوية يمكن أن تتحقق في مضمون الرسالة الصوتية، ويمكن ألا تتحقق. وهذا التصور يعود في الأصل إلى اختلاف وجهات النظر بين نظر تشومسكي إلى القواعد النحوية في الانسان وبين نظر الاجتماعيين الطبيعيين **Naturalistes**. فتشومسكي يرى أن الطفل يولد مزودا بجهاز نحوي كلي **Universelle Grammar** والمجتمع هو الذي يستنتق القواعد الكلية

الفطرية وقد أدخل عليها كاتز وفودور قواعد التأويل الدلالي، التي لها صلة بالتمثيلات الدلالية في ذهن المتكلم¹¹.

بينما يرى الاجتماعيون الطبيعيون أنَّ المجتمعات المتكلمة هي التي تزود الأطفال بالأنظمة النحوية من خلال الاستعمال اللغوي، ودليلهم أنَّ الأطفال المتوحشين **Les enfants sauvages** لا يستطيعون فهم الآخرين عند التحدث إليهم. فعندما يرتبط المعنى بالسلامة النحوية يأخذ اتجاهها تحويليا توليديا في العبارات الملبوسة خاصة، بينما يتخذ الاتجاه الاجتماعي الطبيعي الأنظمة التواصلية التبليغية، في حين تأخذ النظريات المعرفية¹² النظرتين (التوليدية والاجتماعية الطبيعية) في الجهة المعرفية وليس فقط أنظمة مستنتقة من اللغة.

2.5 الوضوح وأمن اللبس: يمكن أن تأخذ التمثلات الاجتماعية والثقافية طريقا ما لتحذف وجه ما أو تتخلى عنه، رغم أن نسبة الأخذ به متكافئة مع نسبة الأخذ بالوجه الثاني في الوضوح لتقوم بجمع ما يناسب وجه المعنى الذي أخرجته من معطيات ووقائع ورسم تمثلات مناسبة للسياق الذي أنجز فيه الخطاب، وتقترب هذه العملية الذهنية إلى حالات غير واعية إذ يبني الذهن هذه الصورة لحماية الذات الداخلية من تناقضات في بناء الخطاب اللغوي بحيث تتجانس مع التمثلات الثقافية والاجتماعية ما يحقق راحة نفسية عند الفرد، وهذه العملية الذهنية مختلفة عن عمليات توجيه الخطاب وخلق وضعيات تناسب نية المتكلم في ترتيب الواقع اللغوي وتظليل المتلقي إذ تتم هذه العملية في حالة وعي ذهني، وهو ما يخلق في حالات كثيرة التناقض في تسلسل معطيات مصطنعة وهو ما يجعل المعنى اللفظي غامضا أو ملتبسا.

6-خاتمة: درس البحث علاقة التمثلات الاجتماعية والثقافية بمكونات بناء الخطاب

اللغوي الأخرى مشكلة فضاءات ذهنية بمرجعيات مختلفة، تتفاعل كلها ليتأسس فضاء ذهني جديد لإنتاج المعاني وفهمها في أذهان أفراد العملية التواصلية.

يجمل البحث مجموعة من النتائج هي:

ارتبط مفهوم التواصل بمنتهى الكلام الذي يعلق بأذهان المستعملين.
إن العملية التواصلية ذهنية، تجمع بين اللغة والعرف والبنى النحوية والمقاصد التواصلية والتمثلات الاجتماعية والثقافية، وهي المحددة للعلاقات الموجودة بين اللغة والمعنى، فكل منهما عملية ذهنية مرتبطة بعوامل اجتماعية وثقافية.
تختلف إجراءات الإنجاز اللغوي في الدراسات المعرفية للنظام الداخلي للغة عن إجراءات الكلام المنجز المرتبط بمقاصد ونيات مضمرة، فالأولى تبحث عن كيفية اشتغال الدماغ لتمثل التصورات في بناءات لغوية وكيفية بناء نماذج لتلك التمثلات الذهنية، باعتماد البنى التركيبية، أما الثانية فهي مرتبطة بأقطاب العملية التواصلية اللغوية، أي أن التواصل حاصل في ذهن المتكلم والسامع على أساس بناء اكتمال الإفادة في ذهن التي هي نفسها الموجودة في ذهن المتكلم بما تقتضيه التمثلات الاجتماعية والثقافية.

7- قائمة المراجع:

المؤلفات باللغة العربية.

حافظ اسماعيلي علوي، أحمد الملاح، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009).
كريم عبيد علوي، كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات، (الرباط: دار الأمان، 2013).

الأطروحات:

غسان إبراهيم الشمري، الدلالة المعرفية، مبادئ ونماذج تحليلية، رسالة دكتوراه، 2009، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط.



المؤلفات باللغة الأجنبية:

Donald Gillies, Philosophy of Science in the twentieth century: an introduction, Oxford, UK, Cambridge, Mass, USA, Blackwell, 1993.

Jackendoff,, Ray S, Semantics and Cognition, MIT Press, 1985.

مواقع الانترنت:

<http://www.jstor.org/stable/4178548>, Consultée le 26/02/2022.

http://www.revuetexto.net/Dialogues/Debat_Hermeneutique/Rastier_Herm-et-ling.html, Consultée le 22/03/2022.

www.persee.fr/doc/colan_03361500_1986_num_67_1_1750_t1_0124_0000_2, Consultée le 13/02/2022.

www.persee.fr/issue/raipr_0033-9075_1978_num_45_1, Consultée le 15/02/2022.

الهوامش والإحالات.

¹-RASTIER François (décembre 2005), Herméneutique et linguistique : dépasser la méconnaissance. vol. X, n°4, P1. *Texto!* [en ligne], http://www.revue-texto.net/Dialogues/Debat_Hermeneutique/Rastier_Herm-et-ling.html , Consultée le 22/03/2022.

²-Fauconnier Gilles, Espaces mentaux (1er trimestre 1986), *Revue de Communication & Langages*, n°67, P 67-124. www.persee.fr/doc/colan_0336-1500_1986_num_67_1_1750_t1_0124_0000_2, Consultée le 13/02/2022.

³ - RASTIER François, Herméneutique et linguistique, P1.

⁴ - *Donald Gillies, Philosophy of Science in the twentieth century: an introduction, Oxford, UK, Cambridge, Mass, USA, Blackwell, 1993, P1 10.*

⁵ - غسان إبراهيم الشمري، الدلالة المعرفية، مبادئ ونماذج تحليلية، رسالة دكتوراه، 2009، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص 17.

⁶ - غسان إبراهيم الشمري، الدلالة المعرفية، ص 18.

⁷ - حافظ اسماعيلي علوي، أمحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009)، ص 68.

⁸ - كريم عبيد علوي، كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات، (الرباط: دار الأمان، 2013)، ص 48.

⁹ - المرجع نفسه، ص 75.

¹⁰ - Jackendoff, Ray S, Semantics and Cognition, MIT Press, 1985, P 41.

¹¹ -. Noam Chomsky, Dialogues avec Mitsou Ronat, 1977, (1978), Raison présente, Nouvelle philosophie, positivisme, marxisme, n°45, Janvier – Février – Mars, P 138-139. www.persee.fr/issue/raipr_0033-9075_1978_num_45_1, Consultée le 15/02/2022.

¹² - Jackendoff, Ray, The Status of Thematic Relations in Linguistic Theory, (1987) Linguistic Inquiry, Vol. 18, No. 3, p 369, The MIT Press Stable URL, <http://www.jstor.org/stable/4178548>. Consultée le 26/02/2022.